أدب الصّحبة

الشيخ إبراهيم الرّحيلي

ـ حفظه الله تعالى ـ

\* مفرّغ \*

.....

وكلمتنا اليوم في أدب الصّحبة ، وما ينبغي أن يُراعى في هذا المقام ، وهذه الأحاديث التي ننبّه عليها في كلّ يوم إنّما هي بحسب الحاجة ، ونراعي أيضا فيها التّنويع لحاجة النّاس، وبحسب ما يحتاج النّاس إليه في دينهم وفي عبادتهم وفي أخلاقهم ومعاملتهم.

والصّحبة هي من الوسائل العظيمة التي ينتفع بها المسلم في دينه ودنياه ، ولقد مدح الحكماء والعقلاء قبل الإسلام "الصّحبة" ، وتكلّموا في حسن اختيار الصّاحب ، ولهم أشعار ونظم يطول في وصف ذلك ، وفي ذمّ بعض من لا يُرغب في صحبته ،والذي ينبغي للعاقل أن يختار له صاحبا صديقا يعينه على الخير.

والصّحبة في اللّغة هي الملازمة والمقارنة .

والصّحبة تكون اختياريّة وتكون قهريّة :

* فالقهريّة هي : ما يتعرّض له الإنسان من صحبة من ابتُلي بصحبته من غير اختيار منه كمن يُبتلى بصحبة من لا يُرغب في صحبته في عمل أو في مسكن أوفي دراسة أو في تجارة أو في طريق ، فهؤلاء لا اختيار للإنسان في صحبتهم ، والعاقل عليه أن يقضي أيّامه مع هؤلاء في سلامة وعافية ، يتجنّب شرّهم ،ويسلم من أذاهم ، ولا يحرص على صحبتهم.
* وأمّا الصّاحب الذي يختاره الإنسان لنفسه فهذا الذي ينبغي للعاقل أن يختاره وأن يجتهد في البحث عنه، فإنّ الصّاحب الوفيّ، الصّاحب الذي يعين على الخير نادر في كلّ زمن.

وقد اشتكى العقلاء والحكماء من قلّة هذا الجنس من النّاس ، وهو الصّاحب الوفيّ الذي يعين على الخير ، ويستر الزلّة ، ويغفر الخطأ، اشتكى الحكماء قديما من قلّة وندرة مثل هذا الصّاحب ، والنّاس في هذا الزّمان أشدّ شكاية لقلّة الوفاء والصّدق في النّاس إلّا من رحم الله .

وضابط الصّحبة أو ضابط الصّاحب النّافع الذي يُرغَب فيه هو صاحب الدّين والعقل والحكمة:

* فدينه يحمله على نفع أخيه في الدّين وفي مناصحته
* وعقله يمنعه من السّفه
* والحكمة تحمله على حسن التّصرف

فمن وُجد بهذه الصّفات فهذا يُعضّ على صحبته بالنّواجذ، أن يكون ديّنا عاقلا حكيما ، فهذا الذي يُحرص على صحبته ، وهو من جمع بين الدّين والعقل والحكمة ، ويقلّ في النّاس مثل هذا ، فإن عُدِم في مجتمع فلا أقلّ من أن يُختار من الأصحاب ما هو أقرب إلى هذه الصّفات ،وهو أن يكون الصّاحب صاحب دين يعين على الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وقبل أن أذكر بعض الصّفات المتعلّقة بهذا أشير إلى أثر الصّحبة في الصّاحب، فكم انتفع الأصحاب بأصحابهم : ولعاقلٍ أن يتأمّل كيف ارتفع ''أبـو بـكـر'' بصحبة النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فهو صاحبه الذي بادر إلى الإيمان به ، صاحبه في الهجرة ، وآزره ، وقـال فيه النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: ((لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا من أهل الأرض خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ولَكِنّ صَاحِبَكُمْ خَلِيل الرَّحْمَان ))، وقـال: (( لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاس أَمَّنَّ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ )) فهذا الرّجل الذي قال فيه النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ هو أمّنّ النّاس عليه في الصّحبة إنّما كان هذا لصحبة النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ومؤازرته بماله ونفسه وأهله ، فهو صادق الصّحبة ، وصادق الودّ مع النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فارتفع إلى أن كان خير البشر بعد الأنبياء ، فما يُعْرف بعد الأنبياء والمرسلين أفضل من أصحاب الأنبياء من أبي بكر رضي الله عنه .

فانظروا إلى أثر الصّحبة كيف ارتفع بها هذا الرّجل من قريش ، وليس نسبه بالنّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وقرابته منه أولى من غيره ، بل هناك من هو أقرب منه ، فبنو هاشم وبنو عبد مناف كلّهم أقرب للنّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ،أقرب من أبي بكر في النّسب ، ولكنّه نال هذا بصحبة النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ.

وكذلك ''صـاحـب مـوسـى'' الذي صحبه في رحلته في طلب العلم في البحث عن ''الخَضِر'' وهو ''يوشع بن نون'' فإنّ الله ذكره في كتابه ،وذكر صحبته لـموسى فارتفع بهذه الصّحبة ، ولهذا يُذكر في كتب بني إسرائيل أنّ ''يوشع بن نون'' هو أخصّ النّاس بموسى بعد هارون ، وهو وصيّه ، وهذا مـمّا يدلّ على فضل الصّحبة .

وكذلك من أثر الصّحبة صحبة ''عـمـر'' لأبي بكر ،فإنّ عمر -رضي الله عنه -كان صاحب أبا بكر وكان ينافسه في الخير ، فارتفعت همّته ، وكان ينافس أبا بكر كما أخبر هو بنفسه ،فارتفع بهذه الصّحبة حتّى أصبح أفضل النّاس بعد النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وبعد أبي بكر ،مع تأخّر إسلامه .

.. ومن أثر الصّحبة أيضا عموما على ''أصحاب النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ'' الفضل العظيم الذي حصل لأصحاب النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ على غيرهم من الأمّة ، فكلّ من صحب النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فهو أفضل مـمّن يأتي بعدهم من الأمّة ، ولهذا كلّ من رأى النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ولو لساعة ولقي النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ مؤمنا به ومات على ذلك فهو أفضل من غيره من الأمّة ولو عمل المتأخّر بما عمل من أعمال البرّ ، ولذا قـال النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: ((لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)) هذا يدلّ على فضل الصّحبة .

وكذلك من آثار الصّحبة:أثر ''صحبـة التّابعيـن'' بأصحاب النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وما حصّلوا من العلم والفقه

وكذلك من أثر الصّحبة، من الآثار المباركة ''صحبـة الأئمّـة'' كأصحاب أبي حنيفة، وأصحاب مالك، والشّافعيّ ،وأحمد، فإنّهم يُذكرون في الكتب لـمّا كان هؤلاء على صلة بالأئمّة فأصبحت أسماؤهم مقترنة بفقه هؤلاء ،وهم نقلة العلم عنهم ،فهذا من أثر الصّحبة الطّيبة المباركة .

وكذلك من أثر الصّحبة على العلماء أنّ الرّجل يرتفع بصحبة العالم كما ارتفع الإمام ابن القيّم بصحبة شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكان الإمام ابن القيّم كغيره من العلماء له جهود ولكن ليس أثره كأثره بعد أن اتّصل بشيخ الإسلام ابن تيمية كما أخبر هو بنفسه ، فارتفع وفاق الأقران وسبقهم سبقا بعيدا ، فأصبح لا يكاد يُذكر شيخ الإسلام ابن تيمية إلّا ويُذكر ابن القيّم ،فهذا من أثر الصّحبة الطّيبة المباركة لهؤلاء .

وكذلك العبر والمواعظ في صحبة الهالكين وفي صحبة أهل الشّرّ:

فانظروا ما جنت صحبة فرعون على هامان من الشّرّ العظيم، فكان هامان وزيرا لفرعون، فأصبح قرينه في السّمعة السّيّئة، وفي العقوبة، وفي سخط الله ـ والعياذ بالله ـ

وكذلك انظروا لأثر الصّحبة السّيّئة على أبي طالب وهو عمّ النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وهو الذي يعلم صدق النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ، ويعلم أمانته ، ويعلم حِلْمَه وعقله ، وكان مؤازرا له حتّى طمع النّاس في إسلامه ، ومازال النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يدعوه إلى الإسلام ، حتّى في مرض موته ،والنّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يطمع في إسلامه لعقله ، ولحبّه للنّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ، ولعلمه بصدق النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، ومع هذا حال بينه وبين الإيمان بعد قدر الله وحكمة الله ـ عزّ وجلّ ـ ، الصّحبة السّيّئة عندما قال له بعد جلسائه : أترغب عن ملّة عبد المطّلب ؟ !!فـكَرِه أن يخالف أصحابه وأصدقاءه ،وكره أن يذمّوه بمفارقته لدينه عند الموت ،فمات ـ والعياذ بالله ـ على الكفر.

وكذلك (من) آثار الصّحبة الظّاهرة ، الآثار السّيّئة على كلّ من صحب أهل الباطل ، فكم جنت صحبة أهل البدع على أهلها ما جنت ، وكم جنت صحبة الأشرار من أهل المعاصي على أصحابها ما جنت ،وقد بيّن النّبـيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ هذا في مثل واضح بيّن قـال : (( مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ،فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ،وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ عنده رِيحًا خَبِيثَةً )) فبيّن النّبـيّ

ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أثر الجليس الصّالح وجليس السّوء بهذا المثال المحسوس بحامل المسك إمّا أن يعطيك الطّيب وهذا أثر بيّن واضح ، وإمّا هناك أثر معنويّ وهو الرّيح الطّيّبة ، وكذلك نافخ الكير إمّا أن يُحرق الثّياب وهذا أثر بيّن واضح ، وإمّا الرّيح السّيّئة أن تجد ريحا خبيثة ، وهذا المثال "الرّيح الخبيثة" بالسّمعة السّيّئة .

فالمقصود أنّ العاقل له عبرة ومواعظ في صحبة أهل الخير وما يُجنى فيها من الثّمار الطّيّـبة، وصحبة أهل الشّرّ وما يجتني أهلها من الثّمار السّيّئة ـ والعياذ بالله ـ

والصّاحب الذي يُحرص على صحبته هو صاحب الدّين الذي استقام على دين الله ـ عزّ وجلّ ـ، وسلم من البدع، وسلم من المعاصي، فهذا الذي يُرغب في صحبته:

فإنّ دينه يحمله على أن يدعوك للخير وأن يأمرك بالمعروف وأن ينهاك عن المنكر

ودينه يحمله على أن لا يوافقك في الشّرّ فيكون عونا لك على نفسك، حتّى لو ضعفت النّفس فإنّك ستجد الصّديق والصّاحب، صاحب الدّين يعينك على الخير ، يأمرك بالمعروف إذا غفلت عنه ، وينهاك عن المنكر إذا وقعت فيه ، ويذكّرك بالخير ويدعوك إلى طاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ ويرشدك إلى كلّ ما فيه خير ،فهذا الذي يُحرص على صحبته .

وكذلك من الصّفات الممدوحة في الصّاحب الذي يُحرص على صحبته ''العقل'' فإنّ العاقل يحمل صاحبه على الخير ، ويقود صاحبه إلى الخير ويجنّبه السّفه ، وأمّا السّفيه فإنّه لا خير في صحبته ، حتّى ولو وُجد الدّين مع ضعف العقل ، فإنّ ضعف العقل يحمل صاحبه على السّفه ،ولربّما أضرّ بصاحبه من حيث لا يدري ، ولربّما أهلك صاحبه في حين يظنّ أنّه ينفعه ، فالعاقل هو الذي تميّز بالعقل ، وله تمييز بين الأشياء

فهذا الذي يُحرص على صحبته ، وأمّا السّفيه وصاحب الطّيش والحمق فهذا لا يُحرص على صحبته وأشدّ ما يكون من الصّفات المذمومة هو صحبة الأحمق الذي لا يميّز بين الأشياء بل إنّه تختلط عليه الأمور ، فيُقدم على الشّرّ وهو يظنّ أنّه خير ، ويصدّ عن الخير وهو يظنّ أنّه شرّ، وقد حذّر العلماء من صحبة الأحمق ،وليس هناك أضرّ على الإنسان من صحبة الأحمق الذي يضرّ الإنسان ويضرّ صاحبه في حين يظنّ أنّه ينفعه ، فصحبة العاقل الذي تميّز بالعقل وتقدير الأمور ينفع صاحبه ، فإذا استشرته وجدت الرّأي السّديد، وإذا رجعت إليه في أمر وجدت نِعْمَ المساند بالعقل والحكمة .

كذلك مـمّن يُحرص على صحبته من اتّصف ''بالحكمة'' وهي مرتبة فوق العقل، مرتبة الحكمة فوق العقل، وهي كما تقدّم مبنـى الحكمة على مرتبتيـن:

1. ـ على مرتبة التّمييز .
2. ـ ومرتبة تنزيل الأشياء في منازلها لأنّ الحكمة وضع الأشياء في مواضعها.

فالحكيم هو الذي له تمييز وعقل وله حكمة ، ويضع الأشياء في مواضعها، وله قدرة وفهم ،ويحسب للأمور حسابها ، ويوجّه إلى الخير قبل أن يتنبّه له النّاس ، ويحذّر من الشرّ قبل أن يتنبّه له النّاس ولهذا ذكر العلماء : '' أنّ الفتنة إذا أقبلت لا يعلمها إلّا الفقهاء والحكماء ، وإذا أدبرت عرفها عامّة النّاس '' فصحبة الحكيم مـمّا يُنتفع به .

وكذلك إذا صحبت العاقل تخلّقت بأخلاقه في العقل، وإذا صحبت الحكيم تخلّقت بأخلاقه في الحكمة

فما يُمدح الصّاحب حتّى يكون عاقلا حكيما ، ومعلوم أنّ من العقل والحكمة ما هو مكتسب ، ومنها ما هو فطريّ ، فيستطيع الإنسان بصحبة العقلاء الحكماء أن يكون عاقلا حكيما، يجاريهم في كلامهم ، وفي سمتهم وفي دخولهم وفي خروجهم ، لأنّ أهل العقل والحكمة إذا صاحبتهم عرفت كيف نالوا العقل والحكمة ، لأنّهم لا يتعرّضون لمواطن الشّبه، لا يجلسون في كلّ مجلس ، ولا يتكلّمون بكلّ كلام ، ولا يصحبون كلّ إنسان، ولا يجلسون بكلّ مجلس، ولا يخالطون كلّ إنسان ، وإنّما لهم تميّز في دخولهم وفي خروجهم في تصرّفاتهم ، وفي كلّ أحوالهم ، فتنتفع بصحبتهم .

وأمّا من فقد هذه الصّفات فإنّه لا يُرغب في صحبته :مثل صحبة الفاسق ببدعة أو معصية فكم جرّت صحبة هؤلاء من الشّرّ والفتنة ، إمّا في الدّنيا بأن يبتدع فيصيبك ما أصابه من البدعة ،ولهذا ذكر العلماء أنّ من صحب مبتدعا فإنّه لا يأمن أن ينغمس في ضلالته ، وقد حذّر السّلف من صحبتهم قالوا: ( لا تصحبوا أهل البدع فإنّي لا آمن أن يغمسوكم في بدعتكم ) وكون الرّجل صاحب أهل البدع وهو يزعم أن يناصحهم فرجع ببدعتهم وبشبهتهم ، وكان السّلف يَحْذَرُون من مجالسة أهل البدع ويُحَذِّرون منه ، ويقولون : (إنّ المبتدع كالأجرب من جالسه أصيب بدائه) ومعلوم أنّ الجرب هو أشدّ الأمراض انتقالا حتّى إنّه قيل أنّه ينتقل بالرّيح ، لأنّ الجرب يصيب البشرة الخارجيّة وإذا ما جاءت الرّياح انتقل داء الجرب مـمّن كان حوله ولو لم يباشره ، ولهذا كانت الإبل إذا أصيب أحدها بالجرب انتقل بسرعة شديدة إلى غيره ، فكانوا يعزلون الإبل التي أصيبت بالجرب عن غيرها ، فشبّه العلماء المبتدع بالأجرب الذي يشتدّ انتقال دائه إلى غيره بدون الأسباب المباشرة

كذلك مـمّن يُحذر من صحبته الفاسق : فإنّ الفاسق يحمل صاحبه على أن يدعو صاحبه إلى ما هو عليه ، وكم من إنسان ضعف في دينه ،ووقع في الذّنوب والخطايا، ووقع في الكبائر بصحبة أهل الشّرّ الذين يزيّنونها له ، ونحن نعلم وكلنّا جرّب أنّا لو سمعنا بمعصية تقع في مجتمع لاستنكرها أهل الإيمان بسماعها فقط ، فإذا سمعنا مرّة ثانية أنّ هذه المعصية وقعت يخفّ الاستنكار ، فإذا رأيناها يخفّ الاستنكار ،فإذا خالط النّاس أصحابها لربّما هان عليهم الأمر ، حتّى إنّه لربّما أتى عليه زمان يباشر هذه المعصية وهو لا يشعر بشدّة خطرها ، فهذا مـمّا يدلّ على أنّ المعصية لها أثر ، سماع المعاصي له أثر فكيف بصحبة أهلها .

ولهذا العاقل ينأى بنفسه ،ويبتعد عن صحبة أهل المعاصي ولو كان عندهم دنيا ولو كان لهم جاه، فإنّ صحبتهم ضررها على الدّين معروفة ومجرّبة .

كذلك مـمن يُنهى عن صحبته السّفيه والأحمق:فإنّ صحبتهم مضرّة بالإنسان، حتّى مع وجود الدّين فإنّ الإنسان قد يكون ديّنا في نفسه، لكن فيه سفه وطيش وعدم تعقّل ،فلربّما جرّ على صاحبه الويلات بسبب طيشه وبسبب سفهه ولهذا قيل :

**عدوّ عاقل خير من صديق جاهل**

فالجاهل قد يضرّك وهو لا يدري، وإن كان صادق الوفاء، صادق الصّحبة والصّداقة إلّا أنّه يضرّ وهو لا يدري أنّه يضرّ.

ومن الأمور التي أذكرها وهي تدلّ على أنّ أهل المعاصي وأهل ( ضعف)[[1]](#footnote-2) العقل لربّما ظنّوا أنّهم يحسنون لبعض من يحبّون وهم يضرّونه، فأذكر أنّ أحدهم سألنـي مرّة قال : إنّ لي جارا ، وهو مسكين ،وليس لديه ما يستطيع أن يأتي بالقنوات الفضائية وصاحب العمارة منعه، فأردت أن أحسن إليه بأن آتي له بسلك من الجهاز الذي عندي حتّى ينتفع به ، لأنّه صديق لي وصاحب .

فانظروا هذا الصّاحب الآن يريد أن ينفع صاحبه وصديقه بأن يُدخل القنوات الفضائيّة إلى بيته ،وهو صادق في حبّه وفي صداقته ، ولهذا هو يجود له بما عنده ، ويحبّ له ما يحبّ لنفسه ، فهذا يحمل عليه ضعف العقل ، وإلّا مثل هذا لو كان عاقلا وابتلي بالمعصية فإنّه لا يدعو صديقه الذي يحبّ لـها ، لكنّ ضعف العقل يحمل الإنسان أحيانا على أن يضرّ بالنّاس ، ولهذا عقلاء الرّجال الآن من الذين وقعوا في التّدخين وفيهم نقص في العقل لكنّه قد لا يصل إلى أن يدعو الأب الذي يدخّن ابنه للتّدخين ، لأنّ فيه شيئا من العقل ، وأمّا إذا ذهب العقل بالكليّة فقد يدعو الأب ابنه إلى أن يشاركه في الخمر وفي الدّخان وفي الزّنا ، فهذا دليل على تفاوت النّاس في العقل ، فالعاقل حتّى ولو قصّر ووقع في معصية فإنّه لا يحمل صاحبه ومن يحبّ وأقرب النّاس إليه إلى هذه المخالفة ، وأمّا إذا ضعف العقل فلا يمكن أن يوصف الجاهل في ضرره على النّاس ومن يحبّ في دعوى أنّه ينفعهم.

وكذلك مـمّن يُحذر من صحبته صاحب الحسد الذي يتمنّـى زوال النّعمة عن صديقه وعن صاحبه ، فإنّ هؤلاء يُبتعد عنهم وشرّهم خطير ،وهؤلاء يسعون في إزالة النّعم ،ولربّما اعتدى على صاحبه، حتّى إنّه لربّما حمل الحاسد صاحبَه على القتل ،أن يقتل حسدا، وأن يذمّ وأن يبغي وأن يظلم بسبب الحسد ،فالحسود يُبتعد عن صحبته فإنّه لا خير في صحبته .

كذلك مـمّن يُحذر من صحبته الـملول الذي يـملّ الصّحبة ، فإنّ بعض النّاس له تنقّل في الأصحاب والأصدقاء ، يصاحب هذا يوما ، وهذا يوما ، وذاك يوما ، وكلّما صاحب الرّجل فترة من الزّمن وجد مللا ففارقه لغيره ، وقد حذّر الحكماء قديما من صحبة الـملول الـمتلوّن الذي لا يدوم له ودّ، وإنّما يُحْرص على صاحب الودّ الدّائم ، الذي لا يتغيّر ولا تتغيّر حاله مع طول الزّمان ومع ابتعاد المكان ،وقد عرفنا من بعض هؤلاء من إذا انقطعت عنه عشرين سنة فوجدته كما هو ، ولو انتقل إلى بلد وابتعد عنك في البلدان البعيدة ، فإنّه لا يتغيّر ، لا تغيّره الأحداث والأزمان ، ولا يتغيّر بحالك إن انتقلت إلى غنى، أو إلى فقر، أو أُصِبت بمصيبة، أو ابتعدت عنه،أو طال الزّمان فهو صديق وفيّ، فهذا الذي يُحرص عليه ، أمّا الـملول الذي يـملّ الصّحبة والصّداقة ويـملّ العلاقة في الله ـ عزّ وجلّ ـ فإنّ هذا لا يُحرص على صحبته .

كذلك يُحذر من صحبة الغضوب شديد الغضب الذي يغضب لأدنى شيء ، فإذا ما أخطأت غضب عليك وأوسعك ذمّا ،ولا يغفر الزّلة ،ولا يحلم على صديقه فهذا يُبتعد عنه ، وبعض النّاس فيه غضب ، ومن منّا لا يُغضِب صاحبه !!

ولهذا نحن نختار من الأصحاب من إذا أغضبته حَلُم عليك ، ومن إذا غضب تَحْلُم عليه ، لأنّه لا يسلم الإنسان من خطأ، فالصّديق الذي يُحرص عليه هو الذي يتحمّل الزلّة ولا يغضب ، وقد ذكر العلماء أنّ النّاس في هذا أصناف : فمنهم شديد الغضب بطيء الفيء وهذا أشدّ النّاس ، ومنهم شديد الغضب سريع الفيء ، ومنهم من فيه سرعة في الغضب وفيه بطؤ في الفيء ، ومنهم من فيه بطؤ في الغضب وسرعة في الفيء ، فالنّاس يتفاوتون ، فالإنسان يختار بطـيء الغضب سريع الفـيء، يعني لا يغضب لأدنى شيء ، وإذا غضب فإنّه سريع الفيء والرّجوع .

كما أنّه ينبغي أيضا ( الحذر) من صحبة من يصحبك للدّنيا، ويريد مصالحه في الدّنيا ،وليست صحبته لله وفي الله فإنّ هذه صحبة زائلة مهما أظهر الودّ ومهما أظهر القرب فإنّ كلّ علاقة زائلة بزوال أسبابها ، وأمّا إذا كان الودّ في الله ، فهو يحفظك في حال غناك وفقرك ، وفي حال مصيبتك، والصّاحب والصّديق الوفـيّ هو الذي لا يتخلّى عن صديقه عند المصيبة ، ولا يتخلّى عنه عندما يُصاب بحاجة ، وإنّما يكون واقفا معه معينا له على الخير ، ولهذا كان بعض الحكماء كما يُنقَل عن لقمان في معرفة الأصدقاء واختبارهم أنّه كان يوصي : ( إذا أردت أن تصحب رجلا فأغضبه ، ثمّ انظر إلى إنصافه لك) وكان بعضهم كما يُنقل عن سفيان الثّوريّ يقول: (إذا أردت صحبة رجل فأغضبه ثمّ دُسّ له من يسأله عنك ) فعند ذلك يتبيّن الصّديق الوفـيّ في أنّك إذا أغضبته يحفظ ودّك في غيابك ، ولا يتكلّم في غيبتك ، وإنّما يحفظ الصّحبة في حضورك وفي غيابك .

الحديث يطول عن هذا الباب ،والمقصود أنّ هذا الباب هو باب عظيم من أبواب الخير، فلربّما حمل الإنسان على خير عظيم ، وقرّبه إلى منازل عظيمة لا يطمع فيها بعلمه وبعقله بصحبة الأخيار ، ولربّما ارتكس فيما هو فيه كثير من أهل الشّرّ بصحبة الأشرار وأصبح مقارنا لهم فيما هم فيه ، والمقصود هو التّنبيه إلى أصول هذه المسألة ، والحديث عنها يطول ،وهو مبسوط في كتب الأدب وفي كتب الحكمة، وإنّما أردت التّنبيه ، فنسأل الله ـ عزّ وجلّ ـ التّوفيق للجميع .

هذا ،والله أعلم، وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله محمّد.

1. ـ إضافة من المفرّغ . [↑](#footnote-ref-2)